أسماء ... أسماء .... أسماء تعقيب على ومضة (حصن المعرفة) لجمال الجزيري

أ. د. بهاء الدين محمد مزيد

رئيس قسم اللغة الإنجليزية،

جامعة سوهاج، مصر

(حصن المعرفة)

سبُّورةٌ. كتابٌ. وجوهٌ مُستَغْرِبة.. ضغطٌ مُرتفعٌ. أعصابٌ محروقةٌ. صوتٌ مبحوح .. غضبٌ. استفسارٌ. وجوهٌ مستغربة.

هذه ومضة أخرى من ومضات جمال الجزيري فيها وفي مثيلاتها سمة أسلوبيّة لافتة وهي الميل إلى البنى والمركبات الإسميّة وغياب البني والتراكيب الفعلية غيابا كاملا. هذا ما نجد في الومضة: اسم مفرد نكرة، اسم جمع نكرة ونعت، اسم مفرد نكرة ونعت، اسم جمع نكرة ونعت، اسم مفرد نكرة ونعت، اسم، اسم، اسم جمع نكرة ونعت. تبقى الأسماء منكرة حتّى في وجود الصفات. ولو حلّ محل الصفة مضاف إليه لزال بعض غموض الأسماء وقلّ أثر تنكيرها.

ماذا يفعل التعريف والتنكير؟ يربط التعريف ما يلحق به من أسماء بسياقات محدّدة ويقلل من فرص التأويل ومن مساحات

الغموض. لاحظ الفرق بين "سبّورة" و"سبورة الفصل" و"سبورة سوداء". أمّا التنكير فيترك أبواب التأويل والغموض على مصارعها. وماذا يفعل النزوع إلى التراكيب الإسميّة على حساب البنى الفعليّة؟ أول ما يفعل هو أن يجرّد الأحداث والحالات والأفعال من قيودها الزمانية. لاحظ الفرق بين "أعصاب محروقة" و"أعصاب تحترق" و"أعصاب احترقت" و"أعصاب قد تحترق" أو "أعصاب ستحترق". التراكيب الأربعة الأخيرة مربوطة بأزمنة هي على الترتيب المضارع والماضي والمستقبل. وهكذا تفعل النزعة الإسمية بعض ما يفعل التنكير مما ورد فيما سبق من إطلاق النّصّ من قيود الزمان والمكان وتوسيع آفاق التأويل.

في وسعنا أن نتصوّر سياقا تشير إليه "السبّورة" و"الكتاب" و"حصن المعرفة" و"الاستفسارات" و"الصوت المبحوح" و"الوجوه المستغربة" وليكن فصلا في مدرسة. غير أنّ الومضة ليس فيها ما يشير إلى غير ذلك وليس فيها ما يحيل إلى زمن دون غيره. في هذا السياق تفقد مفردة "حصن" دلالاتها الإيجابيّة على الحماية والرعاية وتنشط دلالاتها السلبيّة على القمع والتقييد – ولعلّ هذا بعض ما تشير إليه علامة التعجّب بعد عنوان الومضة "حصن المعرفة". في جهة المدرسين "ضغطٌ مُرتفعٌ" و"أعصابٌ محروقةٌ" و"صوتٌ مبحوح" و"غضب". ومن جهة التلاميذ "استفسار"

و"وجوةٌ مستغربة" مرتين، لا فرق في ذلك بين ما قبل الدرس وما بعده.

obeikandl.com